شرح نظم

الرّحبيّـــة

في علم الفرائض

للإمام أبي عبد الله محمد بن حسين الرحبي

1

تقريظ الكتاب – مقدّمة الشارح – مباديء علم الفرائض – شرح مقدمة الناظم

أ ـ جمال مرسلي

أستاذ مادة العلوم الإسلامية بقطاع التعليم الثانوي

تقريظ الكتاب

لفضيلة الشّيخ العلّامة لخضر الزّاوي

الحمد الله العظيم شأنه، الّذي جوده فيوض على خلقه، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد خير خلقه وخاتم رسله، وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديه، وبعد:

فقد تصفّحت وطالعت الكتاب الّذي ألّفه الأستاذ الفاضل التّقيّ النّقيّ جمال مرسلي على الرّحبيّة في علم الفرائض، فأجاد فيه وأفاد من تحقيق وتوثيق لنصوصه، وتعليق على بعض عباراته، وشرح لمسائله، وتكميل لمعلوماته، وعناية لإخراج الكتاب على أكمل صورة، ممّا يعدّ عملا جليلا مفيدا للمتعلّم، ولا يأنف من الرّجوع إليه مُعَلِّم.

فجزاه الله خير الجزاء على ما قام به من عمل، وما بذله من جهد، ونفع بعلمه، وزاده من توفيقه.

ولا شكّ أنّ هذا العمل الّذي قام به يعدّ مجهودا كبيرًا، وإسهامًا فعّالا في فُشُوّ العلم، لاسيما علم المواريث الّذي هو أوّل علم يفقد في الأرض، حتّى يختصم الاثنان في الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

لخضر الزّاوي

إمام ممتاز متقاعد ـ المدية

النسخة الخطية للتقريظ

الحمد لله العظيم شأنه الذي جوده فياض على خلقه
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير خلقه وخاتم
رسله وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديه وبعد
فقد تصفحت وطالعت الكتاب الذي ألفه الأستاذ
الفاضل التقي النقي جمال المرسلي على الرحبية
وعلم الفرائض فأجاد فيه وأفاد من تحقيق
ودراسة وتوثيق لنصوصه وتعليق على بعض
عباراته وشرح لمسائله وتكميل لمعلوماته
وعنايته بإخراج الكتاب على أكمل صورة مما يجعل منه
عملا جليلا مفيدا للمتعلم ولا يستغني عن الرجوع
إليه معلم فجزاه الله خير الجزاء على ما قام به من
عمل وما بذله من جهد ونفع بعلمه وزاده من
توفيقه ولا شك أن هذا العمل الذي قام به يعد
مجهودا كبيرا وإسهاما نافعا في تيسير الإلمام
بمبادئ علم المواريث الذي هو أول علم يفقد في الأرض
وحتى يختصم الاثنان في الفريضة فلا يجدان من يفصل
بينهما وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.

كتبه محمد الزاوي إمام ممتاز متقاعد
والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الشّارح

الحمد لله مالك الملك، الوارث لكلّ شيء، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، الّذي لم يورّث درهمًا ولا دينارًا، وإنّما ورّث علمًا نافعًا من أخذه أخذ بحظّ وافر.

أمّا بعد:

فعلم الفرائض هو من العلوم المهمّة، فإنّ الله -سبحانه وتعالى- تولّى تفصيله في كتابه.

وأهمّ فرائض الله -سبحانه وتعالى- وعباداته بعد التّوحيد الصّلاة، ولا نجد أركانها مفصّلةً في القرآن، كما لا نجد أسماء الصّلوات الخمس في القرآن، ومع ذلك نجد تفاصيل أنصباء أهل الفرائض في كتاب الله مفصّلة، وهذا يدلّ على أهمية هذا العلم، والعناية به[1].

وهذا شرح متواضع لنظم «**الرّحبية**»، أقدّمه لمن يريد الاطّلاع على مجهود علمائنا الأجلّاء الّذين تفانوا في خدمة هذا الدّين العظيم.

فها هو ذا العلاّمة الرّحبيّ -رحمه الله تعالى- يتحفنا بمؤلّف في علم الفرائض، ويضعه لنا على هيئة نظم ليسهل لنا حفظه، وصدق العلاّمة السفاريني حين قال في معرض بيانه أنّ النّظم أفضل من النّثر:

لأنّه يَسْهُلُ الحفظُ كما يروق * للسّمعِ ويَشْفِي مَن ظَمَا

1 ـ شرح الرحبية للددو.

هذا وقد اتّبعت في شرحي للنّظم الـمنهجيّة التّالية:

- ذكر البيت الـمراد شرحه.
- شرح الكلمات الّتي تحتاج إلى شرح.
- إعطاء الـمعنى العامّ للبيت.
- ذكر بعض التّفاصيل الـمتعلّقة بموضوع البيت.
- تقديم بحوث وتدريبات لدارس النّظم تعينه على ترسيخ ما تعلّمه.
- حلّ البحوث والتّدريبات. وأنصح الطّالب أن يجتهد في الوصول إلى الحلّ بمفرده قبل النّظر إليه في الكتاب، إذا أراد التّمرّس في هذا العلم.

وفي الختام نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يرزقنا العلم الّذي يورث خشيته ومحبّته وخوفه ورجاءه والرّضا بقضائه، والشّوق إلى لقائه، والأنس به سبحانه.

واللهَ أسأل أن يجعل مجهودي هذا في ميزاني حسناتي يوم القيامة.

أ. جمال مرسلي

مبادئ علم الفرائض

قبل أن نشرع في شرح متن الرّحبيّة لابدّ أن نعرف عشر مسائل، إذا فهمناها نكون قد فهمنا جملة هذا العلم.

وهذه الـمسائل العشر هي: حدّ العلم، وموضوعه ، وثمرته، ونسبته، وفضله، وواضعه، واسمه، واستمداده، وحكم الشّارع فيه، ومسائله وأبوابه.

وقد جمعها صاحب الحاشية على شرح الأشموني على شرح ألفية ابن مالك بقوله ناظما:

إِنَّ مَبَادِئَ كُلِّ فَنٍّ عَشَرَهْ الْـحَدُّ وَالْـمَوْضُوعُ ثُمَّ الثَّمَرَهْ
وَنِسْبَةٌ وَفَضْلُهُ وَالْوَاضِعْ وَالِاسْمُ الِاسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّارِعْ
مَسَائِلٌ وَالْبَعْضُ بِالْبَعْضِ اكْتَفَى وَمَنْ دَرَى الْـجَمِيعَ حَازَ الشَّرَفَا

وقال الـمقّري:

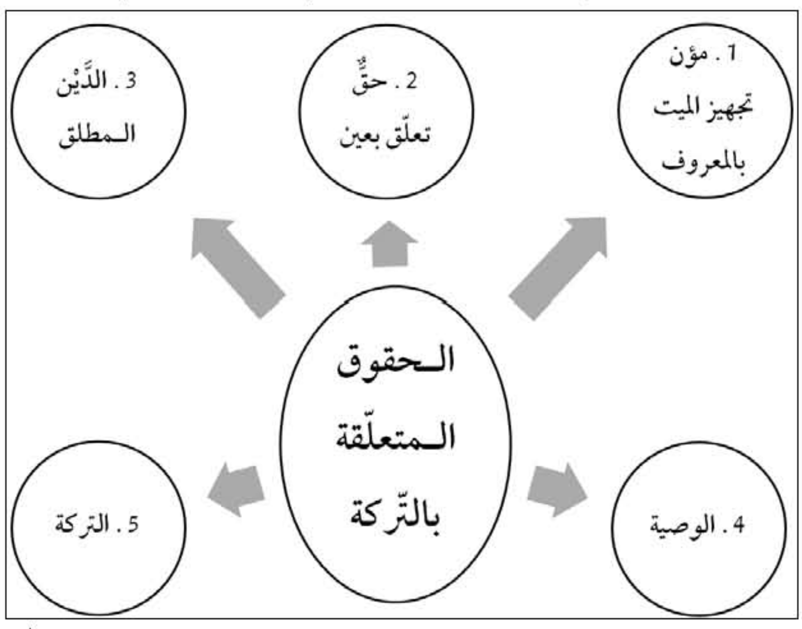
مَنْ رَامَ فَنًّا فَلْيُقَدِّمْ أَوَّلَا عِلْمًا بِحَدٍّ ثُمَّ مَوْضُوعٌ تَلَا
وَوَاضِعٌ وَنِسْبَةٌ وَمَا اسْتُمِدْ مِنْهُ وَفَضْلُهُ وَحُكْمٌ يُعْتَمَدْ
وَاسْمٌ وَمَا أَفَادَ وَالْـمَسَائِلُ فَتِلْكَ عَشْرٌ لِلْمُنَى وَسَائِلُ
وَبَعْضُهُمْ مِنْهَا عَلَى الْبَعْضِ اقْتَصَرْ وَمَنْ يَكُنْ يَدْرِي جَمِيعَهَا انْتَصَرْ

1. **تعريفه:** هو «**علم يعرف به الوارثون، ونصيب كلّ واحد منهم، أو ما لكلٍّ منهم**»، فهذا التّعريف شامل لأمرين: للأحكام، وللحساب، فمعرفة الوارثين هذا من الأحكام الّتي جاءت في القرآن والسّنّة، ومعرفة ما لكلّ واحد منهم هذا هو قسمة التّركة، وهي في علم الحساب.

2. **موضوعه:** وموضوعه: التّصرّف فيما للميّت بعد موته.

التّصرّف، أي: الـمطلوب شرعاً في مال الـميّت بعد موته.

فالـميّت بعد موته يترتّب في ماله خمسة حقوق، هي: (**1. مؤن تجهيزه بالـمعروف، 2. ثـمّ حـقٌّ تعلّـق بعين؛ كالـمرهون أو عبد جنى، 3. ثمّ الدَّيْن الـمطلق، 4. ثمّ الوصيّة، 5. ثمّ التّركة**).

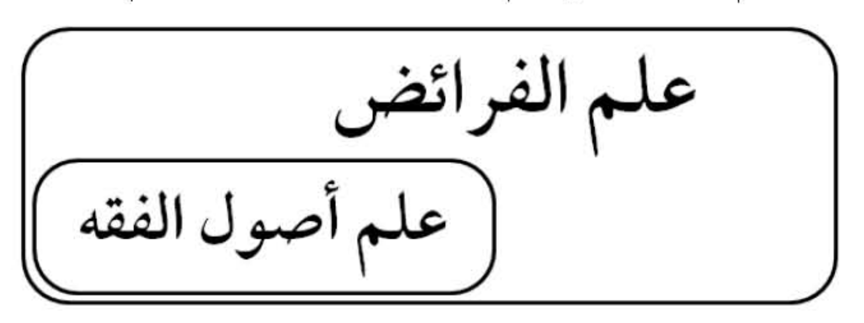


وقد جمعت هذه الحقوق -غير الثّاني- في لفظ «**تدوم**»، فالتّاء للتّجهيز، والدّال للدَّيْن، والواو للوصـيّة، والـميم للميراث، أي التركة.

والمالكية يبدؤون في ترتيبها بحقّ تعلّق بعين، قال خليل -رحمه الله-: (**يخرج من تركة الـميّت حقّ تعلّق بعين؛ كالـمرهون وعبد جنى**).

3. **واضعه**: هو الله -جلّ جلاله- في كتابه، فهو الّذي فصَّل أحكامه وبيّنه، والّذين ألّفوا فيه بعـد ذلـك إنّما هم ناقلون؛ ولـهذا تقلّ الخلافات الـمذهبيّة فيه، فأيّ كتاب ندرسه في علم الفرائض لأيّ مذهب مـن الـمذاهب لا نجد فيه اختلافاً إلّا في مسائل يسيرة محصورة.

4. **نسبته إلى سائر العلوم**: هو جزء من علم الفقه، ونسبته إليه نسبة العموم إلى الخصوص الـمطلق.



ونسبة علم الفرائض إلى علم الحساب، أو علم الحديث، أو علم التّفسير، أو علم الأصول: هي نسبة العموم إلى الخصوص الوجهيّ، فيشترك مع هذه العلوم في بعض مسائلها، وينفرد هو بمسائل، وتنفرد تلك العلوم بمسائل أخرى.

علم الفرائض	علم الحساب أو علم الحديث، أو علم التّفسير، أو علم الأصول

5. **استمداده:** هو كتاب الله، وسنّة رسوله ﷺ، واجتهاد المجتهدين من أهل العلم .

6. **فضله:** هذا العلم من العلوم المهمّة؛ لأنّ النّبيّ ﷺ حضّ على تعلّمه.

فقد أخرج ابن ماجه في سننه، والبيهقيّ والدّارقطنيّ، وغيرهم أنّ النّبيّ ﷺ قال: **"تعلّموا الفرائض وعلّموها، فإنّها نصف العلم، وهو ينسى"**، وهذا الحديث صحّحه السّيوطيّ، وأشار له بالصّحة في الجامع الصّغير، وهو يدلّ على أنّ هذا العلم نصف العلم.

7. **حكمه:** هو فرض كفاية، فإذا كان في البلد من يستطيع تقسيم التّركات، وفضّ النّزاع فيها، لم يأثموا، وإن لم يكن فيهم من يعرف ذلك أثموا جميعاً.

ومحلّ هذا قبل أن ترد النّوازل، فإذا حصلت النّازلة فصاحبها يجب عليه تعلّم حكمها بخصوصه، فيكون حينئذ فرض عين.

فعلم الفرائض من الفروض الكفائيّة الّتي تتعيّن في بعض الحالات .

8. **اسمه:**

علم التّركة: فالتّركة معناها: ما تركه الإنسان وراءه من أهل ومال.

الفرائض: جمع فريضة، والفرض في اللّغة معناه: التّقدير.

كما يطلق الفرض -أيضاً- على التّقدير، بمعنى: الإثبات في الأحكام، فمن ذلك قول الله -تعالى-: ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[1]،«**قد فرضتم**» أي: قدّرتم لهنّ فريضةً، أي: مهراً محدّداً.

(1) البقرة:237

ويطلق الفرض على الإنزال، ومنه قول الله -تعالى-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[1].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ معناه: أنزل عليك القرآن ﴿ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾.

ويطلق الفرض -أيضاً- على الضّريبة الّتي تؤخذ في المال، وقد كان أهل الجاهليّة يسمّون المغارم الّتي يأخذها الملوك بالفرائض.

وبما أنّ الأنصباء في التّركة مقدّرة شرعاً، ومنزّلة من عند الله، وبما أنّها جزء من المال حتميّ لا يمكن أن يردّه الإنسان؛ لأنّ المستحقّ منه قد مات فخربت ذمّته فلا يملك، سمّي هذا العلم بعلم الفرائض، فكان ذلك مأخوذاً من المعنى اللّغويّ، سواءً كان بالتّقدير، أو الإنزال، أو الضّرائب، فكلّ ذلك مرجع لعلم الفرائض، بمعنى علم التّركات .

9. **فائدته:** معرفة أحكام الله -عزّ وجلّ- فيما يتعلّق بتفاصيل الحقّ في المال بعد موت صاحبه، فالله -تعالى- هو المالك للأموال كلّها، ولم يملّكها أحدًا من خلقه، لكنّه استخلفه فيها، فجعل الإنسان مستخلفاً فيما تحت يديه مدّة حياته، فإذا مات ترك ما خوّله الله وراء ظهره، وحينئذ يستحقّه غيره.

10. **مسائله:** أهمّها: ذِكْرُ الوارثين وتعريفهم، وبيانُ أنواع الفرائض، ومن يستحقّ كلّ فريضة منها، وذِكْرُ الحجب، وذِكْرُ التّعصيب، والمسائل المسمّيات، أي: التّركات الّتي سمّيت باسم مشتهر مخصوص، والمناسخات، وفرائض الإقرار، والإنكار، وما يتعلّق بقسمة التّركة في الجزئيّات، و مسائل ميراث ذوي الأرحام، والرّدّ على ذوي القربى، ومسائل الهدمى والغرقى؛ الّذين ماتوا في وقت واحد، ومسائل ميراث الخنثى المشكل، ومسائل ميراث الحمل[2].

(1) القصص: 85

(2) انظر: شرح الرحبية للددو، تفريغ نصي (الشريط 1).

مبادئ علم الفرائض

1 . تعريفه: "علم يعرف به الوارثون، ونصيب كلٍّ واحد منهم، أو ما لكلّ منهم".

2 . موضوعه: التّصرّف فيما للميّت بعد موته.

3 . واضعه: هو الله -جلّ جلاله- في كتابه.

4 . نسبته إلى سائر العلوم: هو جزء من علم الفقه، وله اشتراك مع علوم الحساب والحديث والتّفسير والأصول.

5 . استمداده: هو كتاب الله، وسنّة رسوله ﷺ، واجتهاد المجتهدين من أهل العلم.

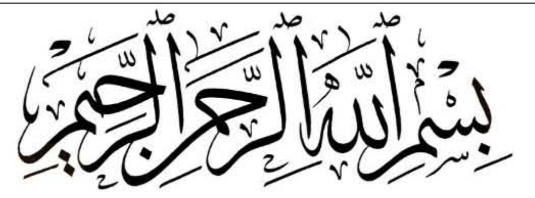
6 . فضله: هذا العلم من العلوم المهمّة؛ لأنّ النّبيّ ﷺ حضّ على تعلّمه.

7 . حكمه: من الفروض الكفائيّة الّتي تتعيّن في بعض الحالات.

8 . اسمه: علم التّركات، علم الفرائض، علم المواريث.

9 . فائدته: معرفة أحكام الله -عزّ وجلّ- فيما يتعلّق بتفاصيل الحقّ في المال بعد موت صاحبه.

10 . مسائله: أهمّها: ذِكْرُ الوارثين، وأنواع الفرائض، والحجب، والتّعصيب، والمناسخات، وميراث ذوي الأرحام، والرّدّ، والهدمى والغرقى؛ وميراث الخنثى المشكل، وميراث الحمل.



شرح مقدّمة النّاظم

التّعريف بناظم الرّحبيّة:

قبل الشّروع في شرح مقدّمة النّاظم، علينا أن نعرّف به؛ لأنّ المقام مقام عمل وفتوى، ولا يؤخذ ذلك عن المجاهيل. وإليك ترجمة موجزة له:

هو موفّق الدّين أبو عبد الله محمّد بن عليّ بن محمّد بن الحسن الرّحبي الشافعيّ، المعروف بابن المُتفَنِّنة أو المُتَقِّنة. وهو من أهل رحبة مالك بن طوق[1]، وُلد بها سنة 497هـ ،وأخذ عن أبي منصور البزّاز البغداديّ، وأعقب ولدًا هو أبو الثناء محمود، وكان قد ورد الموصل وتولّى القضاء عن أبي منصور المظفّر بن عبد القاهر بن حسن بن عبس بن قاسم الشهرزوري، وبقي بها مدّة ثمّ عاد إلى الرحبة وبها وفاته سنة 577هـ.

وهو صاحب الأرجوزة المسمّاة **(بغية الباحث عن جُمل الموارث)** المشهورة بـ**(الرّحبيّة)**، في الفرائض. وهي من أشهر ما كتب هذا الباب.

قال النّاظم -رحمه الله تعالى-:

001	**أَوَّلُ مَا نَسْتَفْتِحُ الْمَقَالاَ**	**بِذِكْرِ حَمْدِ رَبِّنَا تَعَالَى**

(1) تقع قلعة الرّحبة الشامخة بمحيط مدينة الميادين على نهر الفرات في سوريا على خط طول 40.5 شرقا وعلى خط عرض 35 شمالا وعرفت حديثا باسم (الميادين) واسمها القديم (الرحبة).

شرح الكلمات:

نستفتح: من «فتح» خلاف «أغلق»، وعبّر النّاظم بـ«نستفتح» دون «نبتدئ»؛ لأنّ معالجة مسائل هذا العلم يحتاج صاحبه إلى فتح ربّانيّ ليسهل عليه توضيحه.

وعبّر بضمير الجمع دون الإفراد تيمُّنا بفاتحة الكتاب، فالدّاعي بأسلوب الجماعة أرجى للإجابة من الدّاعي بأسلوب المنفرد.

المقالا: القول، وهو هنا النّظم الّذي وضعه لهذا العلم، والألف للإطلاق.

بذكر: الذّكر النّطق.

حمد: الحمد: هو وصف المحمود بالكمال محبّة وتعظيمًا، والله -تعالى- يحمد على كمال صفاته وإنعامه، وهو مختصّ بالحمد الكامل من جميع الوجوه، وهذا الاختصاص هو مستحَقّ له سبحانه وتعالى.

ربّنا: الربّ هو المربِّي جميع العالمين. وهم من سوى الله، بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنّعم العظيمة، الّتي لو فقدوها لم يكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة فمنه تعالى[1].

معنى البيت:

بيّن النّاظم -رحمه الله تعالى- أنّ أوّل ما يستفتح به مقالته هو ذكر حمد الرّبّ تعالى.

قال النّاظم ـ رحمه الله تعالى ـ:

002	**فَالْحَمْدُ للهِ عَلَى مَا أَنْعَمَا**	**حَمْدًا بِهِ يَجْلُو عَنِ الْقَلْبِ الْعَمَى**

شرح الكلمات:

الله: لفظ الجلالة، اسم للذّات المقدّسة، وهو اسم لم يُسمَّ به غيره تبارك وتعالى. والصّحيح: أنّه غير مشتقّ، فهو لا يشاركه فيه غيره، ولا يثنّى ولا يجمع.

أنعما: النّعمة في اللّغة: اليد والصنيعة والمنّة، ونعم الله ظاهرة وباطنة.

---

(1) تفسير السعدي، من سورة الفاتحة.

قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1]، فالظّاهرة: ما يظهر للعيان، والباطنة: ما دون ذلك، والألف في «أنعما» للإطلاق.

يجلو: من الفعل «جلا»، والجليّ ضدّ الخفيّ، أي: يُزِيل ويُذهِب.

العمى: ذهاب البصر، وهو هنا الالتباس، وعمى القلب يضرّ بدين المرء، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[2].

معنى البيت:

بيّن النّاظم -رحمه الله تعالى- كيفيّة حمد ربّنا -تعالى- بقول المؤمن: الحمد لله على ما أنعمه علينا من النّعم العامّة والخاصّة، حمدًا يُزيل العمى عن قلوبنا.

زيادة وتفصيل:

بدأ النّاظم بالحمد والثّناء على الله -تعالى-، وهذا من حسن الطّالع، ثمّ إنّ الرّسول ﷺ كان يعلّم أصحابه خطبة الحاجة، وهي مبدوءة بـ«الحمد لله»، وكان هو نفسه ﷺ يبدأ خطبه بالحمد والثّناء؛ لذلك ابتدأ العلماء -رحمهم الله تعالى- كتبهم بذلك.

قال النّاظم -رحمه الله تعالى-:

003	**ثُمَّ الصَّلاةُ بَعْدُ وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيٍّ دِينُهُ الإِسْلامُ**

شرح الكلمات:

ثمّ: حرف عطف يفيد هنا التّرتيب الذّكريّ، أي ترتيب ما ذكر حسب رتبته.

الصّلاة: هي الرّحمة الخاصّة فوق الرّحمة الّتي تكون لكلّ أحد، والقول بأنّها «**ثناء الله على عبده في الملأ الأعلى**» اختاره كثير من المحقّقين -رحمهم الله-[3].

(1) لقمان 20

(2) الحج 46

(3) انظر شرح لبلوغ المرام للعلامة العثيمين -رحمه الله تعالى-.

قد ورد بأسانيد عن النّبيّ ﷺ قوله: «**إنّ أقربَكم منّي مجلسًا يوم القيامة أكثرُكم عليّ صلاة**».

السّلام: الاسم من التّسليم، ومن معانيه: البراءة من العيوب، فرسولنا الكريم سالم من كلّ أذى، ويجب علينا أن نجتهد في أن نذُبّ عنه كلّ أذى.

نبيّ: بترك الهمز من «النّبوّة» وهي الرّفعة؛ لأنّ النّبيّ مرفوع الرّتبة على الخلق، وأمّا «النّبيء» بالهمز فمن النّبأ وهو الخبر؛ لأنّه إمّا مخبِر أو مخبَر.

معنى البيت:

بعد أن حمد النّاظم الله -تعالى- صلّى وسلّم على محمّد ﷺ الّذي منهجه الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾[1].

زيادة وتفصيل:

اعلم أنّ الله -تعالى- يثني على النّبيّ ﷺ عند الملائكة المقرّبين، وملائكته يثنون على النّبيّ ﷺ ويدعون له، حيث قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ فيا أيّها الّذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، صلّوا على رسول الله، وسلّموا تسليمًا، تحيّةً وتعظيمًا له كما أمركم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[2].

وصفة الصّلاة على النّبيّ ﷺ ثبتت في السّنّة على أنواع، منها: «**اللّهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، كما صلّيت على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد، اللّهمّ بارك على محمّد وعلى آل محمّد، كما باركت على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد**»[3].

قال النّاظم -رحمه الله تعالى-:

004	مُحَمَّدٍ خَاتَمِ رُسْلِ رَبِّهِ وَآلِهِ مِنْ بَعْدِهُ وَصَحْبِهِ

(1) آل عمران 19.

(2) الأحزاب 56

(3) تفسير السعدي، من سورة الأحزاب 56

شرح الكلمات:

محمّد: هو عطف بيان لـ«نبيّ»، و«محمّد» اسم مفعول؛ لأنّه ﷺ قد حمده الله وحمده الخلق أوّلهم وآخرهم.

خاتم رسل: خاتم الشّيء آخره، ومحمّد خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1].

وفي صحيح مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأتمّها وأكملها إلّا موضع لبنة، فجعل النّاس يدخلونها ويتعجّبون منها ويقولون: لولا موضع اللّبنة، قال رسول الله ﷺ: فأنا موضع اللّبنة جئت فختمت الأنبياء**». نحوه عن أبي هريرة، غير أنّه قال: «**فأنا اللّبنة وأنا خاتم النّبيّين**».

آله: من معاني «الآل» في اللّغة الأتباع، يقال: «آل الرّجل»؛ أي أتباعه وأولياؤه.

وللآل إطلاق خاصّ في عبارات الصّلاة على النّبيّ وآله ﷺ. فالأكثرون على أنّ المراد بهم قرابته عليه الصّلاة والسّلام الّذين حرمت عليهم الصّدقة. وقيل: هم جميع أمّة الإجابة، وإليه مال مالك، واختاره الأزهريّ والنّوويّ من الشّافعيّة، والمحقّقون من الحنفيّة، وهو القول المقدّم عند الحنابلة[2].

صحبه: هذا من باب عطف الخاصّ على العامّ؛ لأنّ الصّحب يدخلون ضمن الآل، والصّحب هم كلّ من اجتمع بالنّبيّ ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك.

معنى البيت:

صلّى النّاظم وسلّم على محمّد خاتم رسل الله -تعالى-، وعلى آله ومن تبعه من بعده، وعلى الصّحابة -رضي الله عنهم-.

(1) الأحزاب من الآية 40

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية: 1/ 97-98.

زيادة وتفصيل:

اعلم بأنّ الخلاف في الفرق بين النّبيّ والرّسول كبير بين أهل العلم:

فمن ذلك: أنّ «النّبيّ» هو الّذي أوحي إليه ولم يؤمر بتبليغ ما أوحى الله إليه، و«الرّسول» هو الّذي أوحي إليه وأمر بالتّبليغ.

ومن ذلك: أنّ «النّبيّ» هو الّذي دعا إلى الرّسالة الّتي كانت قبله، و«الرّسول» هو الّذي جاء برسالة تنسخ رسالة الّذي قبله.

ومحمّد ﷺ أكمل من أرسل وأكمل من أنبئ، وكلّ رسول نبيٌّ ولا عكس.

وذكر الشّيخ العثيمين -رحمه الله تعالى- أنّ «دلالة الرّسالة على النّبوّة من باب دلالة اللّزوم؛ لأنّ من لازم كونه رسولا أن يكون نبيًّا، فإذا ذكر اللّفظ صريحًا كان ذلك أفصح في الدّلالة على المقصود، فالجمع بين النّبوّة والرّسالة نستفيد منه أنّه نصّ على النّبوّة، ولو اقتصر على الرّسالة لم نستفد معنى النّبوّة إلّا عن طريق اللّزوم، وكون اللّفظ دالًّا على المعنى بنصّه أولى من كونه دالًّا باستلزامه، كما في حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه- عند تعليم النّبيّ ﷺ له دعاء النّوم، فلمّا أعاد البراء الدّعاء قال: وبرسولك الّذي أرسلت، فقال له النّبيّ ﷺ: «**لا، قل: وبنبيّك الّذي أرسلت**»؛ لأجل أن تكون الدّلالة على النّبوّة دلالةً نَصِّيّة» اهـ.

قال النّاظم -رحمه الله تعالى-:

005	**وَنَسْأَلُ اللهَ لَنَا الإِعَانَهْ**	**فِيمَا تَوَخَّيْنَا مِنَ الإِبَانَهْ**

شرح الكلمات:

نسأل: السّؤال هو الطّلب، وهو هنا بمعنى الدّعاء؛ لأنّه من أعلى إلى أسفل، فإن كان مساويًا فهو التماس، وإن كان من أعلى إلى أسفل فهو أمر.

الإعانة: هي طلب العون والتّأييد والتّوفيق، والأصل «الإعوانة»، قلبت حركة الواو إلى العين فانقلبت ألفًا، ولا يلتقي ساكنان، فحذفت الألف الثّانية؛ لأنّها زائدة.

توخّينا: التّوخّي هو التّحرّي والقصد، وهو هنا الاجتهاد، والفرق بين القصد والاجتهاد: أنّ الأوّل يقال لـما فيه مشقّة أو لا، أمّا الثّاني فلا يذكر إلّا لـما فيه مشقّة، فتقول: اجتهدت في حمل صخرة، ولا تقول: اجتهدت في حمل قلم.

الإبانة: هي الإيضاح والإظهار.

معنى البيت:

يدعو النّاظم -رحمه الله تعالى- في هذا البيت الله -عزّ وجلّ- أن يعينه في اجتهاده من أجل إيضاح مسائل هذا العلم الـجليل.

زيادة وتفصيل:

ورد في سؤال الله والاستعانة به حديث عن ابن عبّاس قال: كنتُ خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال: «**يَا غُلامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ...**» الـحديث[1].

فإذا أردت السّؤال فاسأل الله وحده؛ لأنّه لا أحد غيره قادر على الإعطاء والـمنع ودفع الضّرر وجلب النّفع، وإذا أردت الاستعانة في الطّاعة وغيرها من أمور الدّنيا والآخرة فاستعن بالله، فإنّه الـمستعان وعليه التّكلان[2].

قال النّاظم -رحمه الله تعالى-:

006	**عَنْ مَذْهَبِ الإِمَامِ زَيْدٍ الْفَرَضِي**	**إِذْ كَانَ ذَاكَ مِنْ أَهَمِّ الْغَرَضِ**

شرح الكلمات:

مذهب: يقصد به هنا الطّريق الّذي يوصل إلى الأحكام الشّرعيّة.

الإمام: هو الّذي يقتدى به في أقواله.

(1) رواه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(2) انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.

الفرضيّ: أي العالم بالفرائض.

الغرض: القصد.

معنى البيت:

تكلّم النّاظم -رحمه الله تعالى- في هذا البيت عن مصدر المسائل الاجتهاديّة في علم الفرائض مبيّنًا أنّ مذهبه في ذلك هو الإمام زيد بن ثابت -رضي الله عنه- أعلم الصّحابة بخبايا هذا العلم. وبيّن أنّ سؤال الله من أهمّ القصد، فإنّه لا يخيب من سأله، قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ (1).

زيادة وتفصيل:

اعلم أنّ القرآن الكريم قد وضع أصول علم الفرائض ثمّ فصّل الكثير من أحكامه؛ ففي سور النّساء والأنفال والأحزاب بيّن ميراث الأبوين، والأولاد، والزّوجين، والإخوة، تفصيلًا، وميراث ذوي الأرحام إجمالًا.

وجاءت السّنّة مبيّنة ميراث الجدّة، وبنت الابن مع البنت، والأخت مع البنت، كما بيّنت الإرث بولاء العتاقة، وميراث العصبات مع أصحاب الفروض، وبعض شروط الإرث.

وكان اجتهاد الصّحابة بعد ذلك في مسائل لم يوجد لها نصّ، كميراث الجدّ مع الإخوة، والإخوة الأشقّاء مع الإخوة لأمّ إذا لم يبق للعصبات شيء، وبعض مسائل العول والرّدّ وذوي الأرحام وأصنافهم.

وممّن اشتهر من الصّحابة بإتقان علم الفرائض: زيد بن ثابت، وعليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود.

قال النّاظم رحمه الله تعالى:

007	عِلْمًا بِأَنَّ الْعِلْمَ خَيْرُ مَا سُعِي	فِيهِ وَأَوْلَى مَا لَهُ الْعَبْدُ دُعِي

(1) النساء 32

شرح الكلمات:

العلم: يطلق فـي اللّغة على الـمعرفة، والشّعور، والإتقان، واليقين، واصطلاحًا: هو حصـول صـورة الشّيء فـي العقل.

سُعي: طُلب، أي مـحاولة وجدان الشّيء وأخذه.

معنى البيت:

بين النّاظم -رحمه الله تعالـى- فـي هذا البيت أنّ العلم هو خير ما ينبغي أن يطلبه العبد، وأولـى ما دُعي له، ويكفي أنّ أوّل ما نزل من القرآن قولـه تعـالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ (2) ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ (3) ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ (4) عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ (5) ﴾[1].

وفـي الإتيان بهذا البيت هنا تنشيط لِـهمّة طالب العلم، وفيه حثٌّ له على الـحرص وعدم التّهاون فـي الطّلب.

زيادة وتفصيل:

اعلم أنّه قد تواترت النّصوص فـي الحثّ على طلب العلم وفضله:

فمن القرآن قوله تعالـى: ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ﴾[2].

ومن الآيات الواردة فـي فضل طلـب العلـم قولـه تعـالى: ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾[3].

ومن ذلك قول النّبيّ ﷺ فـي الـحديث الصّحيح: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفقِّهْهُ فـي الدِّين**».

---

(1) العلق.

(2) التوبة 122

(3) المجادلة 11

ومن ذلك حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ في طلبِ العِلْمِ كانَ في سبيلِ اللهِ حتّى يرجعَ**»[1].

وقوله ﷺ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يلتمسُ فيهِ عِلْمًا سهّلَ اللهُ لهُ بِهِ طريقًا إلى الجنّةِ**»[2].

وحكى النّوويُّ -رحمه الله- اتّفاقَ الفقهاء على أنّ طلب العلم والاشتغالَ به أفضلُ من الاشتغال بنوافل الصّوم والصّلاة والتّسبيح، ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن.

فعن أبي أمامة الباهليّ -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**فضلُ العالِمِ على العابدِ كفضْلِي على أدناكم**»[3].

كما أنّ المثابرة على طلب العلم والتّفقّه فيه وعدم الاجتزاء باليسير منه يجرّ إلى العمل به، ويلجئ إليه، وهو معنى قول الحسن: «**كنّا نطلب العلم للدُّنيا فَجَرَّنَا إلى الآخرةِ**».

قال النّاظم -رحمه الله تعالى-:

008	وَأَنَّ هَذَا الْعِلْمَ مَخْصُوصٌ بِمَا	قَدْ شَاعَ فِيهِ عِنْدَ كُلِّ الْعُلَمَا
009	بِأَنَّهُ أَوَّلُ عِلْمٍ يُفْقَدُ	حَتَّى لَا يَكَادُ يُوجَدُ

معنى البيتين:

أشار النّاظم في هذين البيتين إلى أنّ عِلْمَ الفرائض قد خُصّ عند العلماء بأنّه أوّل علوم الدّين يفقد في الأرض، حتّى لا يكاد يجد المتنازعون في مسائل الميراث من يفصل بينهم.

زيادة وتفصيل:

قد وردت أحاديث في هذا الشّأن، ولكنّها ضعيفة، منها:

---

(1) رواه الترمذي، كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب فضل طلب العلم، وقال حديث حسن.

(2) رواه أبو داود في العلم، باب الحث على طلب العلم، والترمذي في العلم، باب إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(3) أخرجه الترمذي في العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

«تعلّموا الفرائض وعلّموه النّاس؛ فإنّه نصف العلم، وهو ينسى، وهو أوّل شيء ينزع من أمّتي»[1].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أبا هريرة تعلّموا الفرائض وعلّموها؛ فإنّه نصف العلم، وهو ينسى، وهو أوّل شيء ينزع من أمّتي»**[2].

وعن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«تعلّموا العلم وعلّموه النّاس، تعلّموا الفرائض وعلّموها النّاس، تعلّموا القرآن وعلّموه النّاس، فإنّي امرؤ مقبوض والعلم سيقبض وتظهر الفتن، حتّى يختلف اثنان في فريضة لا يجدان أحدًا يفصل بينهما»**[3].

ولأهل العلم أوجه في معنى كون علم الفرائض نصفَ العلم، فمنهم من قال: إنّما كان نصف العلم؛ لأنّ العلم منه ما يتعلّق بحال الحياة، ومنه ما يتعلّق بحال الممات، فما يتعلّق بحال الحياة نصف ولو كان أكثر، والنّصف الثّاني ما يتعلّق بحال الممات، ومعنى النصف هنا: بعض، أو جزء من النّصف الّذي هو حجمه محدد؛ لأنّ النّصف يقتضي المساواة، بخلاف البعض، فالبعض يطلق على الأقل والأكثر.

وهذا العلم سيُنْسَى، فيقلّ أهله، والعارفون به، والعلم كلّه سيرفع، كما ثبت في الصّحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أنّ النّبيّ ﷺ قال: **«إنّ الله لا يقبض هذا العلم انتزاعًا ينتزعه من النّاس، ولكن يقبضه بموت أهله، حتّى إذا لم يبق عالمًا اتّخذ النّاس رؤساء جُهّالًا -أو رءوسًا جُهَّالًا- فاستفتوا، فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا»**.

---

(1) السنن الكبرى للبيهقي، وأخرجه ابن ماجة من طريق حفص بن عمر به. وفى مصباح الزجاجة (964): رواه الحاكم في المستدرك، وقال: إنه صحيح الإسناد، وتصحيحه فيه نظر؛ فإن حفص بن عمر المذكور ضعفه ابن معين والبخاري والنسائي وأبو حاتم، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به بحال، وقال ابن عدى: قليل الحديث، وحديثه كما قال البخاري: منكر. وينظر معرفة التذكرة لابن طاهر ص 139.

(2) المستدرك على الصحيحين للحاكم: 4/ 369، التعليق - من تلخيص الذهبي: حفص بن عمر واه بمرّة.

(3) جامع بيان العلم وفضله: 1/ 599، سنن الدارمي: 1/ 83، سنن الدارقطني: 4/ 82، وفي الحديث ضعف.

وفـي الصحيحين من حديث أنس وأبي هريرة أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**إنّ بين يدي السّـاعة أيّامًـا يظهـر فيهـا الـجهل، ويرفع فيها العلم**».

فالعلم سيرفع، فيقلّ فـي النّاس، ونحن نشاهد ذلك بموت العلمـاء، وعـدم خلافـتهم فـي الأرض، وهذا حضّ من النّبيّ ﷺ علـى تعلّم هذا العلم؛ لأنّه بمثابة الـمُهدَّد بالانقراض[1].

قال النّاظم -رحمه الله تعالى-:

110	وَأَنَّ زَيْـــدًا خُـــصَّ لاَ مَـحَـــالَهْ	بِمَـــا حَبَـــاهُ خَـــاتِمُ الرِّسَـــالَهْ
111	مِـــنْ قَوْلِــــهِ فِي فَضْـــلِهِ مُنَبِّهَـــا	أَفْرَضُـــكُمْ زَيْـــدٌ وَنَاهِيـــكَ بِهَـــا
112	فَكَـــانَ أَوْلَـــى بِاتِّبَـــاعِ التَّـــابِعِي	لاَ سِيَمَـــا وَقَـــدْ نَحَـــاهُ الشَّـــافِعِي

شرح الكلمـات:

لا مـحالة: لا بدّ، أي حقيقة.

حباه: أعطاه، من العطيّة.

ناهيك: حسبك، أي: غاية تنهاك عن طلب غيرها.

التّابعي: هو من اجتمع بالصّحابي وأخذ عنه.

لا سيمـا: أي لا مثيل لـهذه الشّهادة، فتكون تأكيدًا للشّهادة.

نحاه: قصد مذهبه.

معنى الأبيات:

أشار النّاظم -رحمه الله تعالـى- هنا إلـى أنّ زيدًا -رضي الله عنه- قد خصّه خـاتم الرّسـل ﷺ مـن بـين الصّحابة بكونه أفرضهم، حيث قال: «**أفرض أمّتي زيد بن ثابت**»[2] ....

(1) محاضرات مقروءة للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي، شرح متن الرحبية (الشريط 1)

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال: «**أفرضكم زيد**»[1].

وهذا التّخصيص لا شبهة فيه ولا تأويل، وحسبك شهادة سيّد ولد آدم له -رضي الله عنه-، فكان أولى بأن يتبعه التّابعون في هذا العلم، لا سيما وقد اتّبع مذهبه الإمام الشّافعيّ -رحمه الله تعالى-، وهو قصد اجتهاد لا تقليد.

زيادة وتفصيل:

من أهمّ المسائل الّتي يظهر فيها اتّفاق الإمام الشّافعيّ -رحمه الله تعالى- مع الإمام زيد -رضي الله عنه-: «المسألة المشتركة، والجدّ مع الإخوة، والأكدريّة، ومسألة الرّدّ، وذوو الأرحام»، ومعهما مالك كذلك، فرحم الله أئمّتنا الأعلام.

قال النّاظم ـ رحمه الله تعالى ـ:

113	فَهَاكَ فِيهِ القَوْلَ عَنْ إِيجَازِ	مُبَرَّأً عَنْ وَصْمَةِ الأَلْغَازِ

شرح الكلمات:

هاك: اسم فعل أمر بمعنى «خُذْ».

إيجاز: الإيجاز تقليل اللّفظ والاختصار، أي: الإتيان بالمعنى المراد بأقلّ الألفاظ.

وصمة: واحد الوصم، بمعنى العيب، والعار.

الألغاز: جمع لغز، يقال: ألغز في كلامه إذا عمّى مراده.

معنى البيت:

يأمر النّاظم طالب هذا العلم أن يأخذ فيه القول بإيجاز دون إطناب ولا تكرار، دون أن يخلّ ذلك بالمعنى، ولا به إلى درجة الإلغاز.

(1) قال ابن حجر في فتح الباري 12/ 20: وهو حديث حسن، أخرجه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم من رواية أبي قلابة عن أنس وأعله بالإرسال ورجحه الدارقطني والخطيب وغيرهما، وله متابعات وشواهد ذكرتها في تخريج أحاديث الرافعي.

زيادة وتفصيل:

❶ لقد اعتاد الفقهاء عند سردهم للمسائل الفقهيّة أن يذكروا بعضها بأسلوب الألغاز، والهدف من ذلك هو تنشيط ذهن طالب العلم.

❷ ممّا يعاب على بعض المتون أنّها قد بلغت درجة الإلغاز كما ذكر النّاظم، فقد كان قصد واضعيها تسهيل الحفظ ولكنّهم قد وقعوا في المحذور، وهذا ما يثبت صعوبة ودقّة الاختصار، وأنّ ذلك لا يتيسّر إلّا لمن وفّقه الله، وكانت له ثروة لغويّة وخبرة بالعلم الّذي يريد اختصاره.

❸ روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه- أنّه قال: «**إذا تحدّثتم فتحدّثوا في الفرائض، وإذا لهوتم فالهوا بالرمي**».

وهذا الأثر يدلّ على أنّ التّحدّث الّذي يقصد به رياضة العقول أصله علم الفرائض، فينبغي أن يشتغل النّاس بذلك.

والرّياضة الأخرى أهمّها رياضة الرّمي؛ لأنّه قوّة، كما قال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «**ألا إنّ القوّة الرّمي**»، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾[1].

فعمر -رضي الله عنه- أمر إذا تحدّثتم -أي: أردتم رياضة العقول بالحديث- فتحدّثوا في الفرائض، وإذا لهوتم -أي: رياضة البدن- فالهوا بالرّمي، ولذلك يحتاج فيه إلى جزء كبير من معرفة الحساب وقواعده[2].

---

(1) الأنفال:60

(2) محاضرات مقروءة للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي، شرح متن الرحبية (الشريط 1)